المحـاضـــرة الأولـــــــى

المدينة في الفكر الاقتصادي

يمكن القول أن علم الاقتصاد يحدد جميع المبادئ النظرية في ميدان إنتاج و استغلال المواد و هذا من أجل تلبية الحاجيات اللازمة للسكان انطلاقا من مبدأ " أقل مجهود من أجل أكبر مردود "[1]

حيث كان التفكير الاقتصادي يركز على دراسة الظاهرة الصناعية ' كما أن تناول موضوع المدينة كوحدة اقتصادية لم يظهر بصفة واضحة و مميزة إلا مع بداية القرن العشرين ، إلا أن هذا لاينكر بعض المحاولات الفكرية التي مهدت لفكر اقتصادي حضري.

خصوصا مع أعمال توماس مور سنة 1516 حيث حاول تجاوز فكرة أن المدينة إطار فيزيائي و فقط فهي أيضا إطار اقتصادي وتفاعلي ثم جاء بعده مجموعة من الباحثين وليام بيتي (1623 - 1687) و ريتشارد كونتيلو (1680- 1734) ثم جيمس ستوارت ميل (1712- 1780) الذين تطرقوا إلى الظاهرة الاقتصادية في المدينة من حيث أن المدينة هي الأساس و المحرك في المجتمع من حيث تراكم الثروة و السلطة .

فالمدينة بالنسبة للاقتصادي هي المنظمة للمجال حيث كانت المسافة أهم معطية مجالية اقتصادية لأنها تؤثرفي وسيلة النقل و التبادل ، كما أنها تقلل أو تزيد من قيمة الربح ،ان هذه الفكرة لم تبق صحيحة او صامدة بفعل التطور الكبير لوسائل النقل مما أدى إلى اختصار المسافة ، كما ان التطور التكنولوجي وتغير طرق المعاملات التجارية قد يلغي المسافة والحدود المجالية ولو نسبيا .

مساهمة ويليام بيتي (1623-1687) (اقتصادي انجليزي)

تبدو مساهمة ويليام بيتي متميزة فقد كان من الأوائل الذين تنبهوا الى تقييم الظاهرة الحضرية حيث كان يحاول تحويل كل علاقة حضرية الى علاقة رياضية مستعملا التحليل الكمي و اهتم على الخصوص بالتطورات و التغيرات الاقتصادية التي تحدث في المجال و العوامل التي قد تتسبب في عدم التوازن الاقتصادي بين مختلف المناطق الحضرية حيث ركز على البعد الاقتصادي (التموضع ، الحجم ، الثقل) بالإضافة إلى الحجم السكاني للمدن .

اعترض على توزيع الوظائف و الثروات في المجال و كان من المدافعين على التركز الصناعي و الحضري حيث جعل من بحوثه حول مدينة لندن مرجعيته لنظرياته حيث درس :

المميزات الموضعية لمدينة لندن : (النهر الكيتي ،التايمن ، الطرق،البحر) وكان يرى أن المدينة يجب أن تتوسع نحو الغرب و الصناعات تجب ان توضع جهة الشرق لكون اتجاه الرياح غربية (حماية الأحياء السكنية من التلوث الصناعي) .

طرح وليام تساؤل مهم هو ماهو الحجم الأقصى لمدينة لندن . حيث حاول تحليل مزايا و تكاليف التركز الحضري ، لقد قدر عدد سكان لندن سنة 1680 ب 670 ألف نسمة

ولاحظ أن سكان العاصمة يتضاعفون كل 40 سنة بينما يتضاعف سكان المملكة خلال 360 سنة و توصل الى ان **الفارق بين فكرة تضاعف الرقمين يكمن في الشروط و المزايا التي يجدها الناس في المجتمعات الحضرية الكبرى .**

لكي يوضح بطريقة حسابية صدق طرحه المتعلق بالتركز الحضري طرح فرضيتين :

فرضية 1 : حالة التركز الحضري أن لندن عندما تكون بها 4690000 نسمة يعني سبع مرات مما عليه سنة 1680 وهي عامة لانجلترا التي بها 2710000 نسمة تقريبا نصف سكان لندن المفترضون .

---

[1]- حسين عبد الحميد احمد رشوان –الاقتصاد و المجتمع دراسة في علم الاجتماع الاقتصادي المكتب الجامعي الحديث، الاسكندرية ص 12

<u>فرضية 2</u> : حالة التشتت : عندما تكون لندن اقل سبع ممرات مما عليه سنة 1680 أي عدد سكانها 76000 نسمة من حيث يكون عدد سكان المملكة 730400نسمة منهم 104000 نسمة موزعين في مدن صغيرة و 7200000 في المناطق الريفية

طرح الباحث تساؤل في أي الفرضيتين يمكن ان نعيش في ظروف اقتصادية أحسن وراحة اجتماعية اكبر ؟

توصل بعدها إلى النتائج التالية :

- مجال التموين للمدينة عندما يكون قريب يكون أكثر أهمية و أكثر جدوى و المدينة الكبيرة الناتجة عن حالة التركز توفر ذلك .
-من الناحية الإستراتيجية الدفاعية المدينة الكبيرة أسهل للحماية .
-التماسك الاجتماعي يكون أكثر فاعلية و قوة في المدينة لأنها توفر تنوع و تداخل في العلاقات الاجتماعية مما يؤدي إلى زوال الروابط الاجتماعية الطبقية الفئوية او الأسرية لتذوب كلها في علاقات اجتماعية حضرية .
-سلطة الدولة تكون أكثر قوة حيث تتركز
-جمع الضرائب يكون أكثر مرودية في الفرضية الأولى
انتبه الى أن السلبية الرئيسية التي لاتخدم فرضية التركز و المدن الكبرى هي سلبية أو ظاهرة التشبع الحضري و انتشار درجة كبيرة من التعقد ، إلا أن هذا لا ينفي دفاعه عن التركز الحضري .
مساهمة المفكر الاقتصادي ريشار كونتيلو 1680- 1734
عمل على تحليل المجال الحضري من وجهة اقتصادية مركزا على الوظيفة التجارية والأعمال التي قام بها سنة 1725 تقوم أساسا على جعل الأسباب الاقتصادية هي الأسباب الأولى لقيام المجتمعات البشرية ، كما أنه يميز داخل المدينة الواحدة عدة تجمعات صغرى لكل تجمع خصائصه ونشاطاته.
بالإضافة إلى هذا ربط بين حجم الوظيفة الاقتصادية وحجم المجتمع فالمجتمعات ذات الوظائف الكبيرة تؤدي إلى زيادة حجم المجتمع فالمجتمعات ذات الوظائف الكبيرة تؤدي إلى زيادة حجم المجتمع. في حين يحدث العكس في المجتمعات ذات التطور الاقتصادي الضعيف أو المجتمعات ذات الاقتصاد الأحادي .
يرى أن نموالتجمعات الحضرية تقوم على عاملين :
- العامل الاجتماعي : أي أنها عبارة عن مجموعة بشرية ذات نظام اجتماعي مشترك
- العامل الاقتصادي : حيث تكمن أهميته في أن نشأت أي تجمع و استمراره يعتمد على حيوية التبادلات كما هو الشكل التقليدي للتبادل بين المدينة و الريف ، **لذا استنتج أن المواقع و المواضع ذات أهمية قصوى في حياة التجمعات الحضرية ، فأحسنها التي تقدم إمكانيات فعلية للتبادل و لهذا استنتج من خلال التجمعات التي درسها أن الظهير الريفي يكون أساسيا في نمو المدن فكلما زاد هذا الظهير كلما زادت فرص التوسع ونمو المدينة .**
تطورت استنتاجاته في الأخير إلى الدفاع عن **مبدأ التشتت عكس وليام بيتي .**
مساهمة جيمس ستيوارت ميل 1712 - 1780
تركزت أعماله في دراسة المدينة كظاهرة اقتصادية وازدهارها ونموها يعود **إلى الفائض الإنتاجي وكذلك إلى اختيار الموضع والموقع المناسبين .**
لاحظ تركيزا على الصناعات التحويلية بالاعتماد على موارد الطاقة (الفحم الحجري) و المواد الأولية (المناجم) بجانب المدينة منطقة استهلاك و توفير اليد العاملة فالعامل الصناعي كان مرتبطا بالمجال الحضري و لو أنه انعكس إيجابا على العامل الزراعي (المكينة ، زيادة الإنتاج)
لكن المدينة بقيت هي مركز هذا **التبادل التكاملي** و لو أن جاذبية المدينة قللت من حيوية الريف مما يدفع إلى التفكير في نشر بعض الفروع التصنعية في الريف كم أن توسع مجال تسويق إنتاج المدن يعتمد بالأساس على شبكة المواصلات أي **تصبح المدينة مهيكلة للمجال الريفي** .
إن هذه الأعمال و المساهمات السابقة لمختلف الباحثين درست ظاهرتين أساسيتين لتوزع السكان ضمن المجال الجغرافي وهما التركز الحضري و التشتت و كيف تكمل الظاهرتين بعضهما لخدمة الاقتصاد عامة

والاقتصاد الحضري خاصة من خلال التبادلات بين المدينة و الريف مع الأخذ بعين الاعتبار أن المدينة وحدة إنتاج و توزيع و استهلاك و عامل مهيكل للمجال الجغرافي .

التبادلات بين المدينة و الريف

إن الرجوع إلى النمط الكلاسيكي في طبيعة التبادلات بين المدينة والريف نجدها علاقات ذات طابع تكاملي تبادلي من خلال نظام استهلاكي تقليدي (تتكفل المدينة باحتياجات الحرف و التجارة بينما يتكفل الريف بالإنتاج الفلاحي و المواد الأولية) .

حيث أنه كلما اقتربنا من المدينة نجد أن المجال ذو طبيعة حضرية و العكس كلما ابتعدنا، كما أن المدينة تعتبر المحرك الرئيسي لتسويق فائض الإنتاج سواء كان حضريا أو ريفيا.

إن نظام الاستهلاك الذاتي كان في مرحلة قبل التصنيع و تتميز بما يلي :

ـ سيطرة الأنشطة التجارية والفلاحية .

ـ الوحدات المجالية كانت قائمة على فكرة الاستهلاك الذاتي و انتشار هذا الشكل مرتبط باعتبارات بشرية سياسية و اجتماعية (قلة السكان) .

ـ التبادلات كانت مرتبطة أساسا بفائض الإنتاج حيث تتم على مستوى المدينة و الريف و بين المدن .

إن التطور الكبير في طبيعة العلاقة بين المدن و الريف حدث بظهور الصناعة(بريطانيا الآلة الصناعية)(الثورة الصناعية نهاية القرن الثامن عشر و بداية القرن التاسع عشرة)

حيث أصبحت أهم نشاط اقتصادي حضري مهيكل للمجال وعامل مساعد على خلق وظائف حضرية أخرى مكملة و رافع من جاذبية المدينة حيث ساهمت الوظيفة الصناعية في خلق الثروة وتراكمها في المدن و انعكست إيجابا بتوفير وسائل الإنتاج الزراعي و الفلاحي وهيكلة شبكة الطرق إلا أن هذا لاينفي أثرها في استنزاف اليد العاملة الريفية و تغيير التوزيع المجالي للسكان باتجاه المدن ومناطق الثروات .

المدينة وحدة إنتاج توزيع استهلاك :

ـ إن ظهور الثورة الصناعية ساهم في ازدياد الظاهرة الحضرية سواء من ناحية أحجام المدن أو زيادة أعدادها وتوزعها المجالي .
ـ بالإضافة الى هذا فإن الوظيفة الصناعية ساهمت في زيادة الوظائف الحضرية الأخرى للمدن سواء كانت سكنية ، صحية ، خدمات ، تجارة ...
كما ساهمت أيضا في تنشيط الاقتصاد الحضري للمدن و رفعت من فائض الإنتاج ،وعملت علي توسيع مجال تسويقه الذي تعدي المجال التقليدي وأعطي للمدينة بعدها الوظيفي الاقليمي